

من كنوز مواظظ ابن الجوزي

دموع الخشية تمحو الخطايا .. والندم واجب على صاحب الذنب

الحكمة متحة ربانية جليلة يؤتيها من يشاء «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقد رُحِر التاريخ الإسلامي برجال من الله تعالى عليهم بأن أجرى الحكمة على الستتهم ونخلقت بها شفاهم متاسين في كلامهم بسيد الحكماء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء الحكماء العالم الرباني ابن الجوزي رحمه الله، وهذه جملة من الحكم والمواظظ التي أترت عن هذا الحكيم نفعنا الله وإياكم بها؛ الذنوب تغطي على القلوب، فإذا انظلمت مرآة القلب لم يبن فيها وجه الهدي، وعن علم ضرر الذنب استنصر الندم.

يا صاحب الخطايا.. ابن الدموع الجارية، يا أسير المعاصي ابتك على الذنوب الماضية، أسفا لك.. إذا جاءك الموت وما أنبت، وأحسرة لك إذا ذهبت إلى التوبة فما أجبت، كيف تصنع إذا شوي بالرحيل وما تأهبت، الست الذي بارزت بالكبائر وما رأيت؟

أسفا لعبدكما كثرت أوزاره قل استغفاره، وكلما قرب من القبور قوي عنده الفتور، أذكر اسم من إذا أطعته أبادك.. وإذا أتيتك شاكرا زادك.. وإذا خدمته أصلح قلبك وفؤادك أيها الغافل ما عندك خير منك؟ فما تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل، وتشبع فتنام، وتغضب فتخاصم، قيم تميزت عن البهائم! واعجبا لك! لو رأيت خطا مستحسنا لرقم لأدركك الدهش من حكمة الكاتب، وأنت ترى رقوم القردة ولا تعرف الصانع، فإن لم تعرفه بثلث الصنعة فتعجب، كيف أعى يصيرتك مع رؤية يصرد!

يا من قد وهي شبابه، وامتلا بالزلل كتابه.. أما بلغك أن الجلود إذا استشهدت نطقا! أما علمت أن النار للعصاة خلقت! أنها لتحرق كل ما تلقى فيها، فتذكر أن التوبة تحجب عنها، والدمعة تطفئها.

سلوا القبور عن سكانها، واستخبروا السحود عن قطانها، تخبركم بخشونة المضاجع، وتعلمكم أن الخسرة قد ملأت المواضع، والمسافر يود لو أنه راجع، فليتغظ الغافل وليراجع.

يا مظلما بأعماله، يا مسؤولا عن أفعاله، يا مكتوبا عليه جميع أقواله، يا منافقا على كل أحواله، تسبناك لهذا أمر عجيب!

أن مواظظ القرآن ذئب الحديد، وللفهم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب التيرة كل يوم به وعيد، غير أن الغافل يئلهو ولا يستفيد كان بشر الحافي طويل السهر يقول: أخاف أن يأتي أمر الله وأنا نائم من تصور زوال الحن وبقاء الفناء هان الابتلاء عليه، ومن تفكر في زوال اللذات وبقاء العار هان تركها عنده، ما يلاحظ العواقب إلا يصير ناقب.

عجبا لمؤثر القافية على الباقية، ولبائع البحر الخضم بساقية، ولخمار دار الفكر على الصافية، ولندم حب الأرض على العافية. قدم علي محمد بن واسع ابن عم له فقال له: من أين أقبلت؟.. قال، من طلب الدنيا، فقال: هل أبركتها؟ قال لا، فقال: واعجبا! أنت تطلب شيئا لم تدركه، فكيف تترك شيئا لم تحظ به. ليجمع الناس كلهم في صعيد، ويتفلسون إلى شقي وسعيد، فقوم قد حل بهم الوعيد، وقوم يفتانهم ترة وعيد، وكل عامل يغترف من مشربه.

كم نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تطاق في الآخرة، يا ابن آدم قلبك قلب ضعيف، وإنك في إطلاق الطرف رأي سخيف، فكم نظرة محفزة زلت بها الأقدام يا ظلل الهوى! متى يؤنس منك رشد، عينك مطلقة في الحرام، ولسانك مهمل في الآثام، وجسدك يتعب في كسب الحطام.

ابن ندمك على ذنوبك؟ ابن حسرتك على

عيوبك؟ إلى متى تؤتي بالذنب نفسك، وتضع يومك تضيعك أمسك، لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع الثائنين لك ندم، هلا بسطت في الدجي يدا سائلة، وأجريت في السحر دموعا سائلة، تحب أولادك طيعا فأحبب والديك شرعا، وأرع أصلا ثم فرعا، وأذكر لطفهما بك وطيب المرعى أولا وأخيرا، فتصدق عنهما أن كانا سيئين، واستغفر لهما واقض عنهما الدين من لك إذا ألم الألم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت وأقبل لأخذ الروح ملك الموت وثرات منزلا ليس بمسكون؟ فيما أسفا لك كيف تكون أهوال القبر لا تطاق؟

كان القلوب ليست منا، وكان الحديث يعني به غيرنا، كم من وعيد يخرق الأذان.. كأنما يعني به سوانا.. أصمنا الأفعال بل أعمانا. يا ابن آدم فرح الخطيئة اليوم قليل، وحزنها في غد طويل، ما دام المؤمن في نور التقوى، فهو يصير طريق الهدي، فإذا أطبق غلام الهوى عدم النور انتبه الحسن ليلة فبكي،

فضح أهل الدار بالكباء فسألوه عن حاله فقال: ذكرت دنيا فبكيت! يا مريض الذنوب ما لك دواء كالبراء يا من عمله بالتفاق مغشوش، تترين للناس كما تزين المقتوش، إنما ينظر إلى الباطن لا إلى النقوش، فإذا همت بالمعاصي فأذكر يوم النقوش، وكيف تحمل إلى قبر بالجنجل مفروش.

لك عمل إذا وضع في الميزان ران؟ علك قشر لا لب، واللب يثقل الكفة لا القشر رحم الله أعظما- تصبى في الطاعة وانتصبت، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت، وكلما تذكرت جنتهم رهبت وهربت، وكلما تذكرت دنوبها تاحت عليها ونديت. يا هذا لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا تنذر أبلغ من الشيب إلى كم أعمالك كلها قباح، أين الجد الي كم مزاح، كثر الفساد فابن الصلاح، ستارق الأرواح الأجساد أما في غدو وأما في رواح، وسيخلو البلى بالوجوه الصباح، آقي

هذا شك أم الأمر مزاح.. فليجلا المعاصي إلى حرم الانابة، وليطرق بالأسحار باب الاجابة، فما صدق صادق فرد، ولا أتى الباب مخلص فصد، وكيف يرد من أسدعي؟ وإنما الشأن في صدق التوبة.

الأيام مطايا بيدها أزمة ركبائها، تنزل بهم حيث شاءت، فبينما هم على غوار بها اقتنهم فوطئتهم بمناسفها.

التفر التفر إلى العواقب، فإن اللبيب لها راقب، أين نعب من صام الهو جر؟ وأين لذة المعاصي الفاجر؟ فكان لم ينعب من صابر اللذات، وكان لم يلد من نال الشهوات، جيلت القلوب على حب من أحسن إليها، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه احذر نثار النعم فما كل شارد يبرود، أنا وصلت إليك أظرافها فلا تنكر اقصاعها بقلة لشكر. يا هذا، ماء العين في الأرض حياة الزرع، وماء العين على الخد حياة القلب.



يا طالب الجنة.. بذنب واحد أخرج أبوك منها، أنطمع في دخولها بذنوب لم تذب عنها! أن امرا تنقضي بالجهل ساعاته، ونذهب بالمعاصي أوقانه، لخلق أن تجري دائما دعوه، وحقيق أن يقل في الدجي هجوه.

أعقل الناس محسن خائف، وأحمق الناس سسي آمن. لا يطعمهم البطال في منازل الأبطال، أن لذة الراحة لا تنال بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد، فإلما لا يحصل إلا بالنعب، والعلم لا يدرك إلا بالنصب، واسم الجواد لا يتاله بخيل، ولقب الشجاع لا يحصل إلا بعد تعب طويل. كانوا بالدموع شجاءهم الطلف جواب، اجتمعن أحزان السر على القلب فاوقد حوله الأسف وكان الدمع صاحب الخير فثم. كيف يفرح بالندبا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى اجله، وحياته على مونه.

الدنيا في اديار، وأهلها منها في استكثار، والزراع فيها غير التقى لا يحصد إلا الندم والعار. ويحك! أنت في الغب محصور إلى أن ينفخ في الصور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مطلق أو مأسور، فما هذا اللهو والغرور!

ياي عين تراني يا من بارزني وعصاني، ياي وجه تطلاني، يا من نسي عظمة شائي، خاب المحجوبون عني، وهلك الميعدون مني. يا هذا زاحم باجتهادك المتقن، وسر في سرب أهل اليقين، هل القوم إلا رجال طرخوا باب التوفيق ففتح لهم.

الأرب قرح بما يؤتى له خرج اسمه مع الموتى، الأرب معرض عن سبيل رشد، قد أن أو أن شق لحد، الأرب ساع في جمع حطامه، قد دنا تشتتت عظامه، الأرب نجد في تحصيل لذاته، قد أن خراب ذاته يا مضيعا اليوم تضيعه أمس، تيقظ ويحك فقد قتلت النفس، وتنبه للسعود فإلى كم نحس، و أحفظ بقية العمر، فقد بيعت الماضي بالبخس.

عمت مطلقة في الحرام، وإسائك منبسط في الآثام، ولأقدامك على الذنوب أقدام، والكل مثبت في الديوان.

كانوا يتقون الشرك والمعاصي، ويجمعون على الأمر بالخير والنواصي، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي، قبل أن تبتعث المنون.

أنبوا الشفاء يطليون الشفاء بالصيام، وأنصبوا لما انتصبوا الأجساد يخافون المعاد

بالمقام، وحفظوا الألسنة عما لا يعني عن فضول الكلام، وأناخوا على باب الرجا في الدجي إذا سجي الظلام، فأتشبهوا مخاليب طمعهم في العقوف، فإذا الأظفار ظافرة.

يا مقيمين سترخلون، يا غافلين عن الرحيل ستخلعون، يا مستقرين ما تتركون، أراكم متوطنين تاملون المنون وعظ أعرابي أبنه فقال: أي بني الله من خاف الموت يادر الفتوت، ومن لم يكح نفسه عن الشهوات أسرع به التبعات، والجنة والنار أمامك.

إن النفس إذا أطمعت طمعت، وإذا أقتعت باليسير قذعت، فإذا أردت صلاحها فاحبس لسانها عن فضول كلامها، وغض طرفها عن حرم نظر الناس، وكف عنها عن مؤذي شهيواتها، أن تسعى لها في نجاتها.

علامة الاستقراج! العمى عن عيوب النفس، ما ملكها عبدا لأع، وما ملكت عبدا إلاذل.

ميزان العدل يوم القيامة تين فيه الزرة، فيجزى العبد على الكلمة قالها في الخير، والنظرة نظرها في الشر. فيا من زاده من الخير نظرف، احذر ميزان عدل لا يحيف.

سمع سليمان بن عبدالمك صوت الرعد فانزع، فقال له عمر بن عبدالعزيز: يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

علامات الساعة الكبرى والصغرى

يأجوج وماجوج وخروج الدخان والنفخ في الصور

خروج يأجوج وماجوج

يقهر المسلمون إلى رؤوس الجبال، ويخرج يأجوج وماجوج لا يتركون أخضر ولا يابسا، بل يأتون على بحيرة فيشربونها عن آخرها (تجف)، حتى يأتي آخرهم فيقول: قد كان في هذه ما، طبعناكم عيسى في الأرض كان لسبع سنين، كل هذه الأحداث تحدث في سبع سنين، عيسى الآن من المؤمنين على الجبال يدعو الله جل وعلا، ويأجوج وماجوج يعيولون بالأرض مفسدين وقتلوا أنهم قد قتلوا وفضوا على جميع أهل الأرض، ويلولون زريد أن تقتل ونقضي على أهل السماء، فيرمون سهامهم إلى السماء، فيذهب السهم ويرجع بالدم فيقتلون أنهم قتلوا أهل السماء «يخادعون الله وهو خادعهم».

نهاية يأجوج وماجوج وموت عيسى عليه السلام

بعد أن يلهوا بمغشهم ويدعو عيسى بن مريم والمؤمنين الصادقين، يرسل الله عز وجل على يأجوج وماجوج دودة أسماها النغف يقتلهم كلهم كقتل نفس واحدة.

فيرسل عيسى بن مريم رجلا من خير الناس لينزل من الجبل ليرى ما حدث على الأرض، فينظر ويرجع يبشر عيسى وعن معه أنهم قد

تغطي بدخان يجحبهم عن الشمس وعن الكواكب وعن السماء، فيبدا الناس (الضالون) بالكباء والاستغفار والدعاء، لكن لا ينفعهم.

حدوث الخسوف

يحدث ثلاثة خسوف، خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب خسف عظيم، ينتفع الناس. في تلك الأيام تخرج ريح طيبة من قبل اليمن تنتشر في الأرض وتقضي روح كل مؤمن على وجه الأرض.

تقبض روحهم كالزكاة (مثل العجسة)، فلا يبقى بالأرض إلى شرار الناس، فلا يوجد مسجد ولا مصحف، حتى أن الكعبة ستهدم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كأنني أراه يهدم الكعبة بالماس»، فلا يجد إلى بيت الله وترفع المصاحف، حتى حرم المدينة المنورة، يأتيه زمان لا يمر عليه إلا السباع والكلاب، حتى أن الرجل يمر عليه فيقول، قد كان هنا حاضر من المسلمين.

في ذلك الوقت لا يبقى بالأرض إلا الظفار والحجار، لا يقال بالأرض كلمة الله، حتى أن بعض الناس يقولون كنا نسمع أجدانا يقولون لا إله إلا الله، لا يعرفون معناها، انتهى الذكر والعبادة، فيتهاجون بهتاج الحضر، لا يوجد عدالة ولا صدق ولا أمانة، الناس يأكل بعضهم بعضا ويجمع شياطين الإنس والجن.

خروج نار من جهة اليمن

في تلك الوقت تخرج نار من جهة اليمن، تبدأ بحشر الناس كلهم، والناس تهرب على الإبل، الأربعة على بعير واحد، يتألبون عليها، يهرب الناس من هذه النار حتى يتجمعوا كلهم في الشام على أرض واحدة.

النفخ في الصور

إذا تجمع الناس على هذه الأرض، أذن الله عز وجل لنافخ الصور أن ينفخ النفخة الأولى فإن الساعة قد قامت، عندها كل الخلق يموتون، البشر والحيوانات والطيور والحشرات والجن وكل مخلوق في الأرض والسماء إلا من شاء الله. وبين النفخة الأولى والثانية أربعون لا بدري أربعون مانا؟ يوم، أسبوع، شهرا في خلال هذه الأربعين ينزل مطر شديد من السماء، والجساد الناس من آدم إلى أن انتهت الأرض تبدأ تنبت وتتكون، فإذا اكتملت الأجساد، أمر الله نافع الصور أن ينفخ ليل الناس أهوال القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل إثم من تبعه لا ينقص من أثمهم شيئا».

شبهات وردود

من القرآن

كثير من الشبهات تنطلق على السنة الناس وخاصة النساء اللائي غاب عنهن العلم بكتاب الله تعالى واللفقة في الدين وينظرة بسيطة ستورده بعض الشبهات وكيف فندها القرآن الكريم بكملمات مختصرة قليلة البنى عظيمة الإلار والمعنى، وعلى سبيل المثال لا الحصر: أنك تسمع من تقول: «أنا أحب الله وهذا يكفي» نقول لها: «ل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

وهناك من تقول: أن الدين يسر

نقول لها: «يريد الله بكم اليسر... ولله أمر الله بالحباب للتيسير

وتقول: أن الفرج أمر هين، ونقول: «وتحسينه هينا وهو عند الله عظيم».

وتقول: انني صغيرة وسوف أتجنب عندما أكبر، ونقول لها: أن الموت لا يعرف صغيرا ولا كبيرا.

وهناك من تقول سوف أتجنب بعد الزواج، ونقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم « أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه...» فقد بحرمت الله من الزواج.

وتقول: زوجي لا يرضى الحجاب، ونقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وهناك من تقول: أتجنب عندما ألقنت بالحجاب، ونقول: «ما كان مؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».

وتقول: أن الحجاب يعوق عن العمل، ونقول: رضا الله وجنته أعلى من كل شيء.

وتقول: لا أطيع الحجاب في الصيف والحر، ونقول: «قل نار جهنم أشد حرا».

وتقول: أن طهارة القلب تغني عن الحجاب، ونقول: لو ظهر القلب لاستقامت الجوارح...، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب».